مفتتح:

إن تطور الأمم مرتبط بماضيها وما يشتمل عليه من قيم وآداب وأخلاق وعلوم، وبمدى التوفيق بين هذه المقومات وعصرها، وحري بكل أمة أن تعتني بموروثها العلمي، وذلك بالاهتمام بعلم تحقيق التراث وحفظه من الضياع والتلف وإخراجه من صفة المخطوط إلى المطبوع لكي يتسنى له السفر عبر الأزمنة المقبلة بأمان.

وقد قدمت الكثير من الدول العربية والإسلامية جهودا في سبيل حفظ وتحقق المخطوطات، لكنها تبقى قاصرة أمام كمها وعددها الكثير، الذي ينتظر الخروج للنور ووضعه بين يدي المختصين للاستفادة منه علميا، لذا تجند الكثير من الدارسين والمهتمين بالتراث العربي الإسلامي لحفظ وتحقيق مخطوطاته ومنهم المستشرقون (برجستراسر، بلاشير، سوناجيه، بروكلمان...) الذين قدموا أعمالا رائدة وخدمات جليلة وهامة في هذا المجال وغيره خدمة للغة العربية والتراث الإسلامي.

وعليه تستمد هذه المداخلة شرعيتها في تسليط الضوء على أعمال وجهود المستشرقين في حفظ وتحقيق التراث العربي الإسلامي، متخذة من المستشرق الألماني جوتهلف برجستراسر نموذجا وذلك بكشف منهجه في تحقيق المخطوط من خلال كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها برجستراسر على طلبة الماجستير بجامعة القاهرة سنة1931م، ولقد حظي برجستراسر بتقدير علمي في هذا المجال، فمحاضرات كانت مطمح أنظار جميع العلماء وعلى رأسهم الدكتور طه حسين الذي كان حريصا على حضورها، وستحاول المداخلة التعرض لمنهجه المراعي جهود سابقيه ومؤسسا لمن يأتي بعده، المعتمد على ثلاثية: النسخ، النص، العمل والإصلاح في التعامل مع المخطوط موضحا الخطوات العامة والدقيقة للعمل الصحيح بطرقة يسيرة وممتعة، كما نبين قيمة الكتاب العلمية لدى المختصين بهذا العلم وثمرة جهد مؤلفه.

جهود المستشرقين والعرب في تحقيق المخطوط:

إن العناية بالتراث العربي كان ولازال ضرورة تضطلع بها النفوس الغيورة على تاريخ أمتها وعلومها، فكان علم تحقيق المخطوط من العلوم التي قيضت للعلماء والدارسين الاطلاع على مختلف النفائس والذخائر العلمية التي ورثها السلف عن الخلف، فالتحقيق «علم من جهة، وصناعة وإصلاح من جهة أخرى»[1]، وترجع أصوله التاريخية إلى أوروبا في القرن الخامس عشر بعد الميلاد، وذلك حين عاد العلماء والدارسون والنقاد إلى المصنفات اليونانية واللاتينية، واهتموا بإحياء علومها قصد الاستفادة منها في النهضة الأوروبية فيما بعد، فقد شكلت هذه المخطوطات إرثا عظيما بالنسبة للأوربيين، ومصدرا هاما لثقافتهم العلمية والأدبية، إذ

Scanned by CamScanner

يصححون إلا أخطاءه البسيطة، فلما ارتقى علم الآداب القديمة، عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء، وإلى المقابلة بين هذه النسخ المتعددة وكانوا كلما قابلوا النسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الروايات المختلفة ووضعوها في نص الكتاب، وقيدوا ما بقي من الروايات في الهوامش، ولكنهم مع ذلك تعمدوا الانتقاء المهم منها واستنجوا اصطلاحات خاصة، تخالفون بها ما هو مروي في النسخ»[3].

إن الطريقة المعتمدة من طرف الأوروبيين آنذاك لتثبت بداية هذا العلم الذي خطى خطواته الأولى معتمدا على هدف واحد هو إخراج هذه المخطوطات والنسخ إلى الهيئة المتداولة بين الناس، وباستطاعتها في شكلها الجديد القديم استئناف رحلة الحياة الطويلة وحمل رسالتها إلى الأجيال القادمة، لكن رغم هذه البداية «إلا أنهم في كل ذلك لم يكن لديهم منهج معلوم، ولا قواعد متبوعة، لأنهم لم يكونوا قد فكروا تفكيرا نظريا في تصحيح الكتب، وأي الطرق تؤدي إليه، أيها لا يؤدي بل قد تؤدي إلى غرض باطل فاسد»[4].

ومازال دأب الأوربيين على هذا العمل حتى أواسط القرن التسع عشر أينما تفطنوا إلى تقنين هذا العلم، ووضع قواعد وأسس لنشر ونقد هذه النصوص والكتب القديمة، معتمدين في ذلك على الآداب اليونانية واللاتينية، ثم آداب القرون الوسطى الغربية، وبذلك خطى هذا طريقه نحو التشكل والتمظهر واتخذ لنفسه قواعد وأسس علمية سار على إثرها العلماء واستأنسوا بها في نشر الكتب وتحقيقها[4].

وقد عمل المستشرقون بهذه القواعد والأسس العلمية التي تسعى إلى تحقيق الكتب العربية والمشرقية، موظفين خبراتهم السابقة في هذا الميدان، ومسخرين ثقافتهم بالآداب والعلوم اليونانية القديمة في تحقيق ونشر الكتب العربية، إلا «أنهم لم يؤلفوا في ذلك كتابا خاصا يشرح الطريقة ويبين خطواتها، لذلك بقي هذا العلم محورا بين الذين لديهم معرفة واطلاع على آداب اللغات القديمة اليونانية واللاتينية.

وبعد المستشرق الألماني الدكتور برجستراسر (Bergstraesser) من الرواد الذين ألفوا وخاضوا في هذا الفن، وذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1931م، حيث لقنهم أسس وطرق هذا العلم، وهي التي جمعت في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) الذي سنتخذه نموذجا للتطبيق.

وهذا ما يؤكد السبق الذي حققه المستشرقون في هذا المجال، إذ «هم أولئن عنوا بوضع الأصول والقواعد المتعلقة بتحقيق المخطوطات، وأخرجوا بعضها، ككتاب الفهرست لابن النديم، الذي حققه فلوجل سنة 1871، ومعجم البلدان ليقوت الحموي، الذي حققه فستفلد سنة 1868»[5].

ولعل المستشرقان الفرنسيان بلاشير(R.Blachére) وسوفاجيه (J.Souvaget) أول من قدما عملا جديا وحقيقيا بعد برجستراسر (Bergstraesser)، وذلك حين أخرجا كتيبا بالفرنسية تحت رعاية جمعية (جيوم بوده)، في فن نقد النصوص ونشر الكتب تحت عنوان (قواعد نشر النصوص وترجمتها)[6] سنة 1954. لكن هذا الكتيب خصص أغلبه بشرح طريقة ترجمة الكتب وقواعدها من العربية إلى الفرنسية، وأقتصر على

Scanned by CamScanner

قواعد مختصرة وإشارات في علم التحقيق مستغنيا عن الأمثلة التوضيحية والنماذج التي تأخذ بيد الطالب لهذا الفن إلى الممارسة الصحيحة والسليمة[7].

وقد قدمت بعض النقاد العرب جهودا بعد ذلك تأصل لهذا الفن وتحاول المشاركة في رسم ملامحه وإبرازه معالمه انطلاقا من الخبرة الأوروبية، حيث تحدث الدكتور محمد مندور بشكل موجز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية عند نقده لكتاب (قوانين الدواوين) لابن مماتي في العددين من 277 و280 من مجلة الثقافة بالقاهرة سنة 1944، الذي أعاد نشره في كتابه الميزان الجديد.

وعند نشر كتاب (تاريخ مدينة دمشق) سنة 1951 من طرف اللجنة العلمية للمجمع العلمي العربي بدمشق تطرقت في مقدمته لقواعد وأسس تحقيق الكتب بشكل مختصر موجز كما تحدث الدكتور إبراهيم بيومي مدكور عن بعض قواعد نشر الكتب التي استهل بها مقدمة التي وضعها لكتاب (الشفاء) لابن سينا، سنة 1953.

بعد هذه الجهود التي كانت تشير بشكل مقتضب وموجز لفن نشر وتحقيق الكتب والنصوص، ينشر الأستاذ عبد السلام هارون كتابا بالقاهرة سنة 1954 م – 1374هـ تحت عنوان (تحقيق النصوص ونشرها)، و«كما يذكر مؤلفه في مقدمته هو ثمرة كفاحه وتجاربه في نشر النصوص القديمة، وهو مجهود لا بأس به، ولكنه مع ذلك لم يحط بالموضوع، وقد أعيد طبعه سنة 1965، وكتب على غلافه (تمتاز بإضافات هامة)، وإن كانت لا تختلف في جوهرها عن الطبعة السابقة»[8].

ويبادر الدكتور صلاح المنجد بنشر كتابه (قواعد تحقيق النصوص) في الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة 1955 حيث تحدث أصول التحقيق مشيدا بدور المستشرقين وسبقهم العلمي في وضع أسس هذا الفن« وقد استقى الدكتور المنجد القواعد التي ذكرها في مقاله من نهج المستشرقين الألمان ومن خطة جمعية بوده الفرنسية ومن قواعد المحدثين والقدامى فيضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل»[9].

هذا نبذة وجيزة عن دور المستشرقين والعرب في إظهار وإبراز فن نشر وتحقيق الكتب الذي يضرب بجذوره إلى قرون بعيدة لأهميته ودوره في تحريك عجلة الثقافة والآداب والفنون، ويبدو أن للمستشرقين دور عظيم في إرساء قواعد هذا العلم من خلال ما تقدم من أعمالهم المبكرة والتي كانت بداية اتبعها الأدباء والنقاد لابتكار أسس جديدة وطرق علمية حديثة تخدم هذا العلم الذي بدوره يخدم الآداب والثقافة الإنسانية.

نبذة عن سيرة المستشرق برجستراسر جوتهلف: [10]

ولد برجستراسر في الخامس من أفريل 1886م بأحد ضواحي مدينة بلاون بسكسونيا، في عائلة كان أفرادها من مأموري الحكومة والعلماء والأساتذة، انتسب أبوه وجده إلى الكنيسة البروتستانت بصفهما قسيسين.

Scanned by CamScanner

أحده برجستراسر دروسه الأولى بمدرسة بلاون؛ حيث تعلم فيها اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والفرنسية، وكانت تتيح المدرسة للطلبة الاختيار بين العربية والانجليزية فاختار العربية، وأخذ معها استثناء الإنجليزية، إلى جانب هذه اللغات، كانت تعلم اللهجات الأرمنية القديمة، وبعض اللغات الجرمانية، ثم درس اللغات الشرقية، تعلم أيضا اللغة المصرية القديمة واللغة الأشورية والعربية، كان أحد مدرسي المدرسة له معرفة باللغات الهندية القديمة (السنسكريتية)، فتعلم منه هذه اللغات، إلى أن نال شهادة القبول في الجامعة، وبذلك إلتحق بجامعة ليبزج سنة 1904، ودرس اللغة العربية واللغات الشرقية وتعمق في قواعدها وآدابها على يد الأستاذ الدكتور فيشر، فنال شهادة التدريس في اللغات والتاريخ الإسلامي عام 1908م، اشتغل بمجال التعليم الثانوي بمدينة درسدن عاصمة سكسونيا إلى نال شهادة الدكتوراه من جامعة ليبزج بأطروحة تحت عنوان (استعمال الحروف النافية في القرآن الكريم) سنة 1911.

نال سنة 1912 إجازة في تدريس اللغات السامية والعلوم الإسلامية من جامعة ليبزج، وتعمق في دراسة الفقه والتاريخ الإسلامي والقراءات، دراسة القرآن الكريم وتاريخ اللغة العربية، أعطته جامعة ليبزج إجازة سنة 1914 إلى الشرق عوضا عن ترشيحه لدار الكتب المصرية بعدما ترأسها صديقه الدكتور شاده فجول في البلاد العربية متتبعا اللهجات الدارجة واستبيان الاختلاف بينها، وقد وضع كتابا باللغة الألمانية في جغرافية اللهجات العربية الدارجة في سوريا ولبنان نشره عام 1915، كما تعرف على اللهجة الآرامية في ضواحي دمشق(مدينة معلولة) من أفواه الناس وألف فيها بعض الكتب والرسائل منها:

-بعض المتون في اللهجة الآرامية الدارجة مع ترجمة ألمانية نشر عام 1915.

-قاموس في اللهجة الآرامية الدارجة بمدينة معلولة نشر عام 1915.

كما ألف كتبا بعنوان أصوات لهجة دمشق ملحقا به بعض المتون في هذه اللهجة نشره عام 1924، كما سافر برجستراسر إلى حيفا والناصرة وطبرية.

ونظرا لظروف الحرب العالمية الأولى عاد برجستراسر إلى جامعة ليبزج، وفي مطلع عام 1919 عينته حكومة بروسيا أستاذا مساعدا للغات السامية والعلوم الإسلامية بجامعة كنجزبرج، وفي عام 1922 انتقل إلى أستاذا لهذه العلوم بجامعة برسلاو، وفي سنة 1924 انتقل أستاذا بجامعة هيدلبرج، ثم عمل أستاذا بجامعة ميونخ عام 1926، وقد انتخب عميدا للكلية علم 1928-1929.

استقدمته كلية الآداب بالجامعة المصرية جامعة القاهرة حاليا أثناء العام الدراسي 1929 – 1930 لالقاء سلسلة من محاضرات في التطور النحوي للغة العربية، وأعاد استقدامه عام 1931 – 1932 لتقديم سلسلة من المحاضرات في نقد النصوص ونشر الكتب، توفي برجستراسر في حادث تسلق جبل لأنها كانت هوايته مع احد طلبته سنة 1932.

منهج برجستراسر جوتهلف في كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب:

Scanned by CamScanner

إن كتاب برجستراسر جوتهلف هو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة 1931م، وكان يحضر هذه المحاضرات العديد من الأساتذة للاستفادة منها ومعرفة منهج الرجل، ومنهم الدكتور طه حسين، وقد قام الدكتور محمد حمدي البكري بإعدادها وتقديم على شكل كتاب ليستفيد بها عموم المشتغلين في هذا المجال، ولقيمة هذه المحاضرات العلمية لخبرة صاحبها وباعه في مجال تحقيق المخطوطات ونشر ونقد النصوص، وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة هي:

الأول في النسخ، الثاني في النص، الثالث في العمل والإصلاح، وسنحاول التفصيل في هذه الأبواب بالشرح وكشف منهج جوتهلف فيها:

1-الباب الأول: النسخ:

يؤسس برجستراسر جوتهلف لتقنية النسخ حيث يرى أن النسخ الخطية لكتاب ما متفاوتة وغير متساوية في القيمة فمنها ما لا يستفاد منها ولا يعتمد عليها في عملية التحقيق والتدقيق، فهي عديم القيمة، ومنها ما يعول عليه ويوثق منها، «ووظيفة الناقد أن يقدر قيمة كل نسخة من النسخ، ويفاضل بينها وبين سائر نسخ الكتاب، متبعا في ذلك قواعد منها:

1-أن النسخ الكاملة أفضل من الكاملة.

2-والواضحة أحسن من غير الواضحة.

3-والقديمة أفضل من الحديثة.

4-والنسخ التي قوبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل، وإلى غر ذلك.والقاعدتان الأخيرتان أهم من غيرهما» (11).

ويبين برجستراسر جوتهلف أن لهذه القواعد والأسس شواذ، وقد أورد في كتابه العديد من النماذج لكتب، تعامل معها المحققون المستشرقون بطرق متعددة لطبيعة وضعها وتوفر نسخها، وقد أعطانا هذه الكتب مفصلا في طريقة تحقيقها ونشرها ونورد مثالا على تفضيل النسخة الحديثة على القديمة حيث يقول:

«كتاب اللمع في التصريف لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمد بن السراج الطوسي الصوفي المتوفى سنة 378هـ والذي نشره رينولد ألين نيكلسون في ليدن سنة 1914، وله مخطوطتان كتبت أقدمهما سنة 548هـ وكتبت الأخيرة منها سنة 683هـ والقديمة -وإن كانت غير كاملة في الظاهر -فيها نقص في مواضع كثيرة تبلغ ثلث الكتاب، والموجود من هذه النسخة مرتب على ترتيب غير مفهوم، فبنى الناشر طبعته على النسخة الحديثة، و لم يستعمل النسخة القديمة إلا في تصحيح النص» (12).

ويقدم مثالا آخر على اعتماد جميع النسخ قديمها وحديثها والتعليقات التي زيدت عليها، حيث يبين ذلك: «وهناك كتاب آخر هو (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة هذا الكتاب سنة 643هـ بدمشق، ومازال يجمع من كتب الأخبار والطبقات، ويزيد على الأصل

Scanned by CamScanner

وبغير ما وجد فيه من الأغلاط حتى توفي رحمه الله سنة 668هـ، ويظن أن بعض تلاميذه أو نساخ كتابه زادوا على مسودته بعد وفاته وغيروا فيها، ولا نستطيع التمييز بين زيادات المؤلف وتغيراته، وبين ما زاده تلاميذه ونساخ كتابه أو غيروه، وقد عمد الناشر إلى إيراد كل ما وجده في نسختين أو أكثر مما وجده في الروايتين لكي لا يسقط شيئا من متن الكتاب، ولكي ينتفع أهل هذا الفن بما أضيف إليه من زيادات، وأقدم نسخة لهذا الكتاب كتبت سنة 712هـ، أي بعد وفاة مؤلفه بأقل من نصف قرن، ولكنها كثيرة الخطأ، أحسن منها نسخة أخرى أحدث منها بثلاثة قرون كتبت سنة 1017هـ، فهي وإن كانت فاسدة في بعض أجزائها إلا أنه يظهر أنها نسخت من أصل قديم لأن أخطائها قليلة» (13).

بهذه الكيفية يقدم لنا جوتهلف النماذج والأمثلة على العديد من الحالات التي تصرف فيها الناشرون المستشرقون في تحقيق المخطوطات العربية، وهذا مراعاة لظروف النسخ وطبيعة شخصية الناسخ وحالة النسخة المعتمد عليها، معرجا على النساخ الذين كانوا ينقلون فقط دون فهمهم لبعض العلوم المنسوخة خاصة اللغة العربية الدقيقة في حروفها وحركاتها، فإن أي تغيير سيعرض المتن إلى التحريف والتحوير عن أصله، مع أن هذه المشكلة لا تشكل خطرا في اللغة اللاتينية التي توضع فيها الحروف إلى جانب بعضها البعض، حيث يوضح بقوله:

«وكان النساخ في جهلهم لا يفهمون شيئا مما كانوا ينسخونه من الكتب في كثير من المواضع، وشر ذلك في اللغة العربية أكثر منه في اللغات الأجنبية، لأن حروف اللغات اللاتينية مثلا تكتب حرفا حرفا، أما الخط العربي فحروفه متصل بعضها ببعض، لذلك فإن الناسخ لا يكاد ينسخ نسخا صحيحا إلا ما يفهم معناه، ولهذا نشهد كثرة التحريف في الأعلام، وهذا مشهور يشاهد في الكتب التاريخية، ونحن نستعمل هذه الحالة كمعيار للكتب العربية التي يوجد بها أعلام، فإذا وجدنا أن النسخة يقل فيها التحريف والتغيير في أسماء الأعلام، كان من الجدير أن نثق بها في سائر النص، ومثال ذلك كتاب ببس (Pappus) في الأعظام المنطقة والصم، وهو المقالة العاشرة من كتاب اقليدس في الأصول ترجمة أبي عثمان الدمشقي كتبه أحمد بن محمد ابن عبد الجليل بشيراز، وقد نشر المستشرق الأمريكي تومسن (Thomson) مع المستشرق الألماني (Junge)هذا الكتاب في باريس عن نسخة واحدة كان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، مع ذلك فنحن لا نجد فيها أي تحريف لأسماء الأعلام اليونانية في الكتاب مثل: ببس (Pappus) اسم المؤلف نفسه، وثااطيطس الاثيني (theattetos)، وابولونيس(Apolonéos)، وبوثاغورس وأوقليدس إلى غير ذلك من الأسماء» (14).

لقد تحدث برجستراسر جوتهلف عن النسخ وأحوالها وكيفية المقارنة بينها والطريقة التي ننتقي أحسنها، حسب مقاييس وأطر فنية معينة، كما تحدث عن شخصية الناسخ الذي له دور عظيم في سلامة المخطوط ووضح بالأمثلة والأدلة على نماذج عدة من المخطوطات مبينا نساخها وطريقة عملهم، مما يكشف عن سعة

Scanned by CamScanner

اطلاع الرجل وإلمامه الواسع والموسوعاتي بهذا الفن، والجميل أنه يقدم في كتابه طريقة تحقيق ونشر أغلب الكتب المحققة، ومظهر ومبينا الصعاب التي لحقت ناشيرها وكيفية تخطيها، وهذا يدل تمكنه من هذا العلم.

2-الباب الثاني: في النص:

إن العناية بالنسخ بمختلف أوجهه ومراحله، وذلك لغاية تهذيب نص الكتاب والإحاطة به، وهذا ما ستكمله المرحلة الثانية وهي النص، ويثمن برجستراسر جوتهلف هذه المرحلة لسببن حيث يقول:

«الأولى: أنه من النادر أن يمكن ترتيب سلسلة لنسب النسخ، بحيث يحتوي على النسخ كلها وتبين تقارب بعضها من بعض بصورة قاطعة، لأننا نجد في بعض النسخ أو كلها لا يتضح نسبتها والعلاقة بينها أو نجد في الواحدة رواية ممتزجة من أصلين أو أصول، أو نعثر على رواية ثانوية مطولة تحتاج إلى الالتفات إليها، ففي هذه الحالات كلها اضطررنا إلى أن نختار بين كل موضع وموضع أصح القراءات المروية فيها، ونستدل على صحيح الاختيار بحجج تختص بقراءة واحدة فقط لا تعم النسخة كلها، فنتساءل أي القراءات أصحها معنى وعبارة أليقها بالمؤلف وغرض كتابه وأسلوبه.

والجهة الثانية: أننا لو سرنا في ترتيب الرواية إلى التحقق من الرواية الأصلية، أو لم نجد إلا نسخة واحدة، فلا حاجة بنا إلى اختيار بعض القراءات: هل هي صحيحة أو غير صحيحة لو سعنا أن نشك في أنه، هل القراءة الأصح هي الأصلية التي كتبها المؤلف أو هي أصلية بالنسبة لغيرها ؟ وتخالف ما كتبه المؤلف من بعض الجهات الأخرى، وهذا الشك لا يزول إلا أذا كانت الأصلية التي كتبها المؤلف موجودة، وهذا نادر الوقوع، وإلا فيلزمنا نقد كل القراءات الأصلية بالنسبة التي نتجت عن ترتيب الرواية، أو كل ما يقرأ في النسخة الوحيدة إن لم يكن للكتاب إلا نسخة واحدة فقط، ويلزم نقد القراءات كلها إن لم نكن قد وصلنا إلى حكم بأن إحدى تلك القراءات أقرب إلى الأصل من غيرها» [15].

وقد وضح برجستراسر بالتفصيل والشرح وعقد الأمثلة طريقة نقد النصوص وتقويم الأخطاء التي وقعت أثناء النسخ وما نجم عن مختلف الأحوال التي أدت بالنساخ إلى الوقوع في الأغلاط التي يجب على المحقق التنبه لها وذلك بالتدقيق فيما ورد في النص وتحري القراءة الصحيحة، فلا نقد إلا بعد فهم، وإذا لم نفهم النص فكيف يمكننا التمييز بين الصحيح وغير الصحيح، ويعتمد النقد والتصحيح على أسس هي:

أ-معرفة اللغة والأسلوب الذي بني عليه النص أو الكتاب.

ب-التنقيط وهو من أهم الوسائل التي يستعين بها الناقد في التمييز بين النصوص وفهمها ويقول برجستراسر أم الثقة في النقطة أقل من الثقة في الحرف فإن خطأ النقطة أكثر من خطأ التصحيف.

ج-التفليق وهو التعبير عن المعنى يعطف الضدين على بعضهما، لأن المعنى يفلق إلى فلقين (وصاحب كتاب الرد على ابن المقفع يحب التفليق ونجد به في ذلك أمثلة منها (بين الخواص العرب والعوام) إي كل الناس، (وممن أطاع وعصى) أي كلهم، ومنها بعثه الله إلى كل فصيح وأعجمي) أي كل الناس [16].

د-إصلاح التشكيل

Scanned by CamScanner

هـ-أخطاء النساخ

و-التحريف

ز-الخطأ في الإملاء

ح-الأخطاء النحوية

ط-الخلل في النسخ

3-الباب الثالث في العمل والإصلاح:

يختص هذا الباب في العمل الذي يقوم به المحقق للكتب القديمة، وقد أشار برجستراسر في هذا المجال إلى اتباع كتاب العالم الألماني ستاهلين (O.Stahlin) المتخصص في علم الأداب اليونانية والرومانية القديمة، إلا أنه ركز شرحه على الأداب العربية القديمة، وتقوم تقنية العمل والاصلاح على أسس أهمها:

-معرفة ما إذا كان الكتاب قد سبق نشره، وذلك بالاطلاع على الفهارس والمعاجم المصنفة للكتب المنشورة والنشريات التي تظهر الكتب التي طبعت والمخطوطات التي حققت مثل معجم المطبوعات العربية والمصرية، ونشرة المطبوعات المصرية، ويقترح برجستراسر مراجعة كتاب كارل بروكلمان تاريخ الأداب العربية فهو كتاب جامع وموسع عن الكتب العربية فيه جهد حقيقي أودعه صاحبه فيه بحث يذكر الكتب وأصحابها ونسخها وعدد مرات وتاريخ نشرها، كما يجب معرفة فهارس المكتبات التي تضم المخطوطات مثل مكتبة الحميدية وأيا صوفيا وبيا زيد وعاطف أفندي ولاله لي وراغب باشا بأستنبول[17]، وغيرها ممن تضم أكبر عدد.

وفي هذا الصدد هناك جهود حقيقة في وضع فهارس للمخطوطات العربية منها إنشاء «جامعة الدول العربية معهدا للمخطوطات العربية، مستخدمة في ذلك طريقة الميكرو فيلم القليلة النفقات، وقد نشر (فهرس المخطوطات المصورة) مشتملا على أسماء المخطوطات العربية التي صورها معهد المخطوطات من مكتبة استامبول ومصر حتى سنة 1951، القاهرة 1954 وأنشأت له مجلة للبحث في شؤون المخطوطات والتعريف بها والتعريف بالدور التي تحتفظ فيها هذه المخطوطات »[18].

كما يتعين علينا سؤال رجال العلم وأهل التخصص عما يعرفونه عن نسخ الكتاب ومثال ذلك «كتاب (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) لياقوت الحموي المولى سنة 626هـ الذي نشره مرجليوث، فإنه عندما بدأ في نشره لم يكن لديه إلا قسم منه قريب من نصفه ثم حصل على باقي الكتاب بسؤال رجال العلم فوصل إليه بعضه من بيروت وبعضه من الهند ولم تكن واحدة مذكورة في أي فهرست»[19].

ويواصل برجستراسر تقديم الامثلة المتنوعة من الكتب المنشورة وطريقة أصحابها في الإصلاح والعمل مبينا المنهج المتبع وراسما للطلبة الطريق الذي به ينفذون إلى تحقيق النسخة التي بين يديهم، وقد قدم أيضا تقنيات متعددة في ذلك وهي:

Scanned by CamScanner

أ-المقابلة وهي مقابلة النسخ المختلفة بعضها ببعض وهي طريقة كانت متعبة ومكلفة في القديم، لأنها تلزم المحقق على السفر إلى مكان النسخ ومقارنتها بما لديه، أما الآن فقد حلت الصور الشمسية ذلك، وتقنية الميكرو فيلم ذلك لكنها تحتاج إلى الجهاز فلا يمكن قراءتها بالعين المجردة.

ب-الإملاء العربي يجب على المحقق الاطلاع على مختلف الخطوط وطريقة كتابتها، ويكون ملما بالإملاء العربي وتاريخ الخطوط العربية وطريقة تطور الحروف في الكتابة، فقد كانت قديما تكتب إتباعا لرسم القرآن الكريم، كما يؤكد برجستراسر أن الكتب المحققة في أوروبا تختلف عنها في المشرق فالأوربيون يرصفون الحروف حرفا حرفا أما المشرقيون فيعون شكل وأصل كل حرف.

ج-الترقيم: وهي مسألة تابعة للإملاء وهي توظيف العلامات للفصل بين الجمل «فما يوجد في الكتب الخطية من ذلك قليل، للتفريق بين الفصول الطويلة والمتن والشرح، فلا شك أننا عند طبع الكتاب، نحافظ على كل هذا ونكمل الناقص في المواضع الموازية، أما غير هذا فيختلف فيه العلماء وأكثرهم حتى في الشرق يذهب إلى إدخال النقط وغيرها في الكتب القديمة، ولا أرى في ذلك فائدة إلا في الأحوال النادرة، ذلك أن الناس تعودوا على قراءة الكتب الشرقية بدون ترقيم، ولا يجدون مشقة في بعض المواضع الصعبة، وفي زيادة الترقيم خطر الخطأ، إذ رأيت في بعض الكتب الغربية التي نشرت أخيرا، بعض الجمل قطعت قسمين بنقطة دالة على نهاية الجملة، لأن الناشر لم يفهم تركيب الجملة فظنها تامة قبل تمامها، والنشر لابد من طبعه على الترتيب الوارد في الأصل، أما الشعر فلابد من طبع كل بيت في سطر، وفي السجع نضع نقطة بعد كل قافية »[20].

د-الإرجاع: وهي توثيق الكتاب وتعيين «الموضع الواحد من الكتاب بحيث يجده المراجع بسهولة وسرعة فلابد لمن يريد أن يعين موضعا في الكتاب من ذكر الصفحة والمجلد وهذا لا يكفي في أكثر الحالات لأننا لم نفعل شيئا لتحقيق ذلك الغرض، استغرق البحث عن كلمة أو علم زمنا طويلا، وإذا كانت الصفحة طويلة فلابد من ذكر عدد السطر ولذلك نضع بجانب السطور أعدادها»[21]، وهو ما يصطلح عليه اليوم بالفهارس العامة فهرس الأعلام والأماكن والموضوعات وذلك بتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول وأقسام[22]، وتخصيص مجلد خاص بالفهارس حتى يسهل على المراجع الوصول إلى قصده دون مشقة أو عناء.

خاتمة:

قدم برجستراسر جوتهلف طريقة عمل منظمة ومنهجة تشكل تصورا دقيقا ومضبوطا لفن تحقيق المخطوطات العربية، معتمدا في ذلك على خبرته الواسعة في مجال آداب اللغة العربية، ومعرفة العميقة باللغات الشرقية القديمة وغيرها من اللهجات العالمية التي تؤهله فعلا للخوض في علوم وآداب الشعوب، وقد استطاع برجستراسر تقديم منهج متكامل لعمل نشر الكتب من خلال كتابه الذي شكل مجموعة من المحاضرات القيمة والذي أعده وقدمه الدكتور محمد حمدي البكري، ولقد حاولت الدراسة تلخيص منهجه المحكم والمتشعب في الكتاب بالأمثلة والأدلة الواضحة التي توضح وتخط عمل المحقق.

Scanned by CamScanner

الهوامش:

1- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، مطبعة دار الكتب، القـــاهرة، ط2، 1995، ص 11.

2- نفسه، ص 11.

3- نفسه، ص 11.

4- ينظر: أحمد محمد الخراط، محاضرات في تحقيق النصوص، المنارة للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1984، ص 26.

5- مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 142.

6- R.Blachére Et J.Souvaget t, Regles pour édition et traduction des textes arabes, Paris, 1945.

7- ينظر: عبد اللطيف محمد العبد، مناهج البحث العلمي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1979، ص 35.

8- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص 17.

9- نفسه، ص 13.

10- ينظر: جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، تقديم، ص 05.

11- نفسه، ص 14.

12- نفسه، ص 14.

13- نفسه، ص 15.

14- نفسه، ص 17-18.

15- نفسه، ص 48-49.

16- نفسه، ص 57.

17- محمد ماهر حماده، المصادر العربية والمعربة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1981، ص 105.

18- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص 92.

19- نفسه، ص 57.

20- نفسه، ص 105.

21- نفسه، ص 106.

22- ينظر: صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 1976، ص 35.

Scanned by CamScanner